

## اللسانيات التمهيدية بين الحدود الوظيفية والزمنية قراءة في بعض النماذج الجزائرية

**Introductory linguistics between functional and temporal boundaries, a reading in some Algerian models**

عبادة محسن Mohcene.abada@univ-bba.dz

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريبرج

رحماني زهر الدين Bachou2009@yahoo.fr

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريبرج

تاريخ النشر: 2021/01/01

تاريخ القبول: 2020/12/05

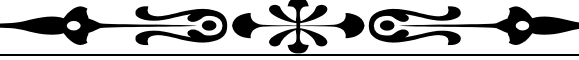
تاريخ الاستلام: 2020/12/01

**ملخص:**

يعتبر تصنيف الخطابات اللسانية العربية، موضوع من موضوعات نقد المنجز اللساني، الذي اشتغل عليه - بصفة محتشمة - بعض الباحثين اللسانيين أمثال عبد الرحمان حاج صالح ومصطفى غلفان وحافظ اسماعيل علوي. وكانت تسميات هذه الأصناف لا تحتكم إلى معيار واحد في التصنيف فمهما ما كان حسب الموضوع المعالج، ومهما ما كان حسب الوظيفة التي تؤديها وأخرى حسب مادتها وما إلى ذلك، فإن كان لا بد أن نسلّم بهذه التسميات التي وُجِدَتْ لها مساحة في أدبيات الخطاب اللساني العربي، فنحن في هذه المداخلة نطرح إشكالية الحدود الوظيفية والزمنية في بعض الكتابات الجزائرية المختارة كنموذج للاستدلال والتحليل، ومن ذلك نصوص التساؤلات التالية: ما الحدود الوظيفية للسانيات التمهيدية في الجزائر؟ وما هي الحدود الزمنية المفترضة لهذا النوع من الكتابات؟ وهل توجد كتابات لسانية تمهيدية في الوقت الراهن؟ وإن وُجِدَتْ فما يميزها عن سابقتها؟

ومما نهدف إليه هو محاولة الوصول إلى تبرير الفرضية الأولية التي نطرحها وهي أن الكتابات التمهيدية وإن سلمنا مبدئياً بأنها كتابات تعريفية باللسانيات عامةً فهي تقتضي انفتاحاً زمنياً على مر العصور مما يمنحها سيرورة تتسم بالتطور في حدود ثبات الوظيفة المرجوة من ذلك.

**الكلمات المفتاحية:** الكتابات التمهيدية، الوظيفة، المنهج، المصطلح.



**Abstract:**

The classification of Arabic linguistic discourses is one of the topics of criticism of the linguistic achievement, which some linguistic researchers such as Abd al-Rahman Hajj Saleh, Mustafa Ghafan and Hafez Ismail Alawi have worked on - in a modest capacity. The designations of these categories did not refer to a single criterion in classification. Some of them were according to the subject being treated, some of them according to the function they perform and others according to their material and so on. In this intervention, we present the problem of functional and temporal boundaries in some Algerian writings selected as a model for inference and analysis, and from this we formulate the following questions: What are the functional limits of introductory linguistics in Algeria? What are the presumed time limits for this type of writing? Are there introductory linguistic writings at the present time? And if so, what would distinguish it from its predecessor?

What we are aiming for is an attempt to justify the initial hypothesis that we present, which is that the introductory writings, although we accept in principle that they are introductory writings in linguistics in general, require a temporal openness over the ages, which gives it a process characterized by development within the stability of the desired function.

**Keywords:** introductory writing, function, method, term..

**مقدمة:**

طلع علينا سنة 2006 الباحث المغربي مصطفى غلفان بكتابه الموسوم باللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، عالج فيه مجموعة من أصناف الكتابات الأولى في حقل علم اللغة تطرق فيها لمجموعة من إسهامات بعض الأعلام الرواد أمثال رفاعة الطهطاوي، وجرجي زيدان، وأنستاس الكرمللي، وسلامة موسى، وغير بعيد عن هذا المؤلف ظهر كتاب الباحث المغربي حافظ اسماعيل علوي سنة 2009 الموسوم باللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، الذي طرح فيه قراءة شبه موسعة للمنجز اللساني العربي انبرى له بالنقد والتحليل مبينا مواطن الضعف والقوة فيه، وقد ورد في هذا المؤلف مجموعة من الأسماء الجزائرية من

بينهم: عبد الرحمان الحاج صالح، وطيب دبة، ومحمد الصغير بناني، وعبد الجليل مرتاض، وخولة طالب الإبراهيمي، هذه الأخيرة التي أوردها المؤلف في صنف أصحاب الكتابات اللسانية التمهيدية، أما الآخرون فقد صنّفهم ضمن أصحاب لسانيات التراث، ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى أن المنهج الذي اعتمده الباحث كان يركز على قراءة العتبات المتمثلة في العناوين والمقدمات، وصاغ بناء على ذلك مجموعة من الأحكام والنقود حول هذه الكتابات ويبدو للمطلع على هذا الكتاب أن الباحث اقتصر في بحثه على الكتب المؤلفة فقط دون اعتبار الإسهامات العلمية التي بثها هؤلاء في مقالاتهم المنشورة في ثنايا المجلات العلمية. ثم ظهر كتاب ثاني لمصطفى غلفان أكمل ثلثة الأثافي عنونه باللسانيات العربية أسئلة المنهج كانت أول طباعة له سنة 2013، طرح فيه الباحث مجموعة كبيرة من التساؤلات المنهجية حول المنجز اللساني العربي.

لقد كان للباحثين شجاعة نقدية تحسب لهما في طرق موضوع كبير ومتشعب تمثل في نقد المنجز اللساني العربي وتقييمه إن صح التعبير، كما كان لهم قصب السبق في وضع بعض التصنيفات لهذه الكتابات، فتحدثنا عن ما أطلقا عليه اسم اللسانيات التمهيدية، هذا النوع من الكتابة الذي يرى إسماعيل علوي أنه لا يمكن أن يذاع علم أو ينتشر بدونه<sup>(1)</sup>، وها نحن الآن نقفوا آثارهم ونخوض في هذا الموضوع لندرس واقع الكتابة اللسانية التمهيدية في الجزائر بين الحدود الوظيفية والزمانية وذلك انطلاقاً من تقديم قراءات لبعض النماذج المختارة، في محاولة منا لكشف ما إذا كان باستطاعتنا فعلاً أن نطلق اسم الكتابات التمهيدية على ما أنجزه الجزائريون في ميدان اللسانيات؟ وهل ما كتبوه تنطبق عليه تلك المواصفات والانتقادات التي قدمها غلفان وحافظ علوي؟

وسنؤطر هذه الدراسة في حدود وظيفية نعالج فيها النماذج الفكرية والمواضيع اللسانية المطروقة من طرف كتابنا الجزائريين، من حيث طبيعتها ووظيفتها في تقريب وتوضيح الرؤية لدى المتلقي العربي للسانيات الغربية، ثم نعالجها من ناحية زمنية وذلك بتقديم هذا المنجز من خلال اختيار مؤلفين من فترات زمنية مختلفة لنرى مدى محافظة هذا النوع من الكتابة على وظيفته. التيسيرية. خلال هذه الفترات المختلفة.

## 1. مفهوم الكتابات اللسانية التمهيدية.

الكتابات اللسانية التمهيدية أو التيسيرية هي طريقة في التأليف لا يمكن لأي علم أن يذيع وينتشر بدونها، وتكون فيها الغاية التعليمية هي الهدف المرام تحقيقه<sup>(2)</sup>، على اعتبار أن المتلقي لهذا النوع من الكتابة هو قارئ مبتدئ غايته التعرف إلى مبادئ اللسانيات باعتبارها علما جديدا، لذلك يجب على من يؤلف في هذا اللون من الكتابة أن يختار ما يراه مناسباً لجلب القارئ وإثارة انتباهه وإغرائه بعبارات محبوكة توجي إلى التبسيط والتسهيل، وتروم الانتفاع، لخلق نوع من التفاعل والانسجام بين النص والقارئ<sup>(3)</sup>، هذا التعريف يوحي بشيئين على الأقل، الأول: هو أن الكتابات اللسانية التمهيدية كتابات بسيطة تنأى عن العمق والتعقيد. والثاني: هو أن طبيعة متلقي هذا النوع من اللسانيات يتصف بعدم معرفته لهذا العلم ولموضوعه. وربما هذا ما يجعل من الكتابات اللسانية التمهيدية محل نقد.

ويعرفها مصطفى غلفان بقوله: "يتشكل موضوع الكتابة اللسانية التمهيدية أو التبسيطية مما تقدمه النظريات اللسانية الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة، وتعتمد هذه الكتابة المنهج التعليمي القائم على التوضيح والتبيان والشرح وما يتطلبه كل ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة والرسوم البيانية وتروم هذه الكتابة تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية بشكل مبسط قصد تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي سواء كان مبتدئاً يلج عالم التخصص أو قارئاً ينشد التسليح باللسانيات للاستفادة منها في مجالات فكرية أخرى من فكر عربي أو نقد أدبي أو تاريخ أو ما شابه ذلك"<sup>(4)</sup>

## 2. آراء حول هذا النوع من الكتابة:

\_ يرى حافظ اسماعيل علوي: أن اللسانيات التمهيدية ملتزمة بالجانب التعليمي التبسيطي وإعطاء القارئ المبتدئ المفاتيح التي تمكنه من فك مستغلقات اللسانيات، وأنها مختلفة من حيث منطلقاتها النظرية والمنهجية، إذ يلاحظ بهذا الخصوص طغيان الاتجاه الوصفي على غيره من الاتجاهات الأخرى، كما أن هاجس التأصيل دفع بهذا النوع

من الكتابات إلى مقارنات لا تخلو من التعسف والافراط في التأويل، إضافة إلى هذا يرى إسماعيل علوي أن هذا النوع يغلب عليه أسلوب الإقصاء إذ يعتمد المؤلف إلى الأشادة بكتابه على حساب الكتب الأخرى<sup>(5)</sup>.

\_ ترى الباحثة صورية جغبوب أن ما يؤخذ عن اللسانيات التمهيدية أنها مرتبكة ومرد هذا الارتباك إلى طبيعة المصادر التي تقدمها بعض الكتابات التمهيدية، وأنها تغيب فيها تقنيات التحليل اللساني وغياب عرض التقنية المتبعة في التحليل اللساني، كما أنها لا تواكب تجدد وتطور النظريات اللسانية خاصة النماذج المتأخرة منها، وهي أيضا لا تقدم أمثلة من اللغة العربية بل تكتفي بالنماذج المترجمة من لغات أخرى<sup>(6)</sup>.

\_ يرى مصطفى غلفان أن كثير من الكتابات العربية تحمل تسميات غير مضبوطة ودون تحديد منهجي أو تصوري إلا في حالات نادرة جدا، خاصة ما يشتق من الاسمين لغة ولسان أو ينسب إليهما دون تعيين الفرق أو التمييز بينهما، ويرى أنه من المفترض على الدارسين العرب أن يفرقوا بين هذه التسميات لا سيما بين مصطلحي اللغة واللسان<sup>(7)</sup>.

إن الغرض من إيراد هذه الآراء التي رأينا أنها تلخص تقريبا الجوانب المنهجية والمعرفية والشكلية التي تنمازها الكتابات اللسانية التمهيدية في رأي هؤلاء الدارسين على الأقل، والتي على ضوءها نريد تقديم تحليلات لنصوص لسانية جزائرية عبر مراحل زمنية مختلفة.

### 3. نصوص وتحليلات:

#### 1.3 نماذج حول مفاهيم خاصة بميدان اللسانيات:

سنحاول أن نبدأ مصادرتنا من رأي مصطفى غلفان حول النقص الفادح في القدرة على التفريق بين مصطلحين جوهريين في اللسانيات الحديثة خاصة ما تعلق منها بلسانيات دو سوسير وهما اللغة واللسان وهذا من خلال نصين متباعدين زمنيا الأول للدكتور عبد الرحمان الحاج صالح الذي أشرنا سابقا أن حافظ اسماعيل علوي صنف كتاباته من لسانيات التراث باعتباره صاحب النظرية الخيلية الحديثة فقراءته في العنوان أفضت إلى هذا التصنيف بل والحصر أيضا إذ يجعله في خانة قراءة النموذج

الواحد<sup>(8)</sup>، أي قراءة النموذج الخليلي فقط وهذا حسب رأينا لا يصح لأن عبد الرحمان الحاج صالح لم يقل بهذا ولا يبدو على كتاباته بل يقرب أن هناك عبقریات فذة وأصيلة في مقام الخليل أو أدنى منه قليلا أسهمت بشكل لا نظير له في صياغة عبقرية النحو العربي إذ يقول "إن الخليل ليس هو وحده المسؤول عن كل ما أبدعه عباقرة العلماء الأولين فهناك من عاصره وكان عبقريا مثله، ومن جاء بعده وكان عبقريا مثله"<sup>(9)</sup> وربما غفل أيضا الباحث عن بعض الإسهامات التي يمكن اعتبارها من الكتابات المعرفة بموضوع اللسانيات ومن ذلك النص الذي سنناقشه بعد قليل أما النص الثاني الذي سنعالجه أيضا في هذا السياق هو نص متأخر ومعاصر استقيناه من كتابات الباحث الجزائري المعاصر مختار زواوي وكلا النصين يخرجان من مشكاة واحدة في حقيقتهما.

النص الأول: يقول عبد الرحمان حاج صالح في معرض حديثه عن الفرق بين اللغة واللسان ما نصه: "لا شك أن القارئ قد لاحظ أننا نميل إلى استعمال كلمة لسان ونفضلها على كلمة لغة ولهذا الميل مبرر سنبينه الآن. لقد ترجم بعض المؤلفين العرب لفظ الـ (linguistics) بـ (علم اللغة) وكنا لا نرى في ذلك بأسا لو أن كلمة اللغة كانت تدل دائما على مفهوم اللسان أي على ما حدده ابن جني بأنه أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ولكن الأمر ليس هكذا لأنه وإن دلت كلمة (لغة) على هذا المعنى العام عند ابن جني مثلا فقد تدل أيضا على معان أخرى مشتركة مشهورة وربما غلبت هذه المعاني الفرعية على المفهوم العام. [حدد بعدها عبد الرحمان حاج صالح مجموعة من المعاني المقترنة بلفظة لغة والتي تحدث الالتباس بخصوص موضوع اللسانيات] هذا وينبغي الآن أن نحدد مفهوم اللسان حسب ما عرفه العلم الحديث، وحسب ما هو عليه عند علماء اللسانيات؛ أي باعتباره موضوعا من مواضيع البحث العلمي، ونتجنب في نفس الوقت كل التصورات الغير علمية التي ترجع إلى ماهية اللغة ومختلف مظاهرها (...). والدراسة اللسانية كما قال سوسور هي دراسة من اللسان وإليه لأن لجميع العلوم الأخرى مواضيع خاصة بها وقد تلتقي بموضوع

علم اللسان ولكن ليس الذي يهمننا هو اللسان في صفاته الذاتية بل في صفاته التي ترتبط بموضوع أبحاثه. وقد تنبه اللسانيون الأوروبيون إلى هذا منذ أن قال سوسور كلمته المشهورة فتركوا للنفساني دراسة المظهر السيكلوجي وللإجتماعي الجانب الجماعي وللمنطقي الاعتبارات العقلية الصورية، وللأديب المظهر الخطابي والشعري والجمالي، واكتفوا بما هو راجع إلى اللسان وحده وهذا المظهر اللساني المحض هو ما سنبينه (...). وننتقل من التحديد الذي بينه العالم الفرنسي أندري مارتني فقد قال هذا العالم: "إن اللسان هو أداة تبليغ يحصل على مقياسها تحليل ما يخبره الإنسان على خلاف بين جماعة وأخرى وينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ وهي العناصر الدالة على معنى ( monèmes ) ويتقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة ومتعاقبة هي العناصر الصوتية (أو الوظيفية) ( phonèmes )، ويكون عددها محصور في كل لسان، وتختلف هي أيضا من حيث ماهيتها والنسب القائمة بينها باختلاف الألسن"<sup>(10)</sup>

يتضح جليا من هذا النص، ذلك الوعي التام بحدود الفوارق الكامنة بين اللغة واللسان ويتأسس هذا النص على إحاطة متمكنة بالتراث اللغوي إن هذا النص المقتطع من مقالة خاصة بتوطئة المفاهيم ينم عن دراية عميقة بواقع اللسانيات الغربية وبواقع صياغة المصطلح في الثقافة العربية، كما أنه يعكس حرص الباحث على مراعات الأسس الابدستيمولوجية في طرحه للأفكار ومعالجتها، نعم إن الوعي بالمفاهيم ليس غريبا على باحث فذ مثل عبد الرحمان الحاج صالح الذي يعود له الفضل في شيوع مصطلح اللسانيات في القطر العربي، ولعل هذا الفضل هو ما يقرب به عبد السلام المسدي إذ يقول: "من الانصاف أن نشير إلى بعض الإنجازات العربية التي احتكمت \_ في وقت مبكر نسبيا \_ إلى المعيار المعرفي في عرض مستخلصات العلم اللغوي فحملت إلينا الهاجس الإبدستيمي، من ذلك ما وضعه د. عبد الرحمان الحاج صالح منذ أنشئ معهد العلوم اللسانية والصوتية ضمن مؤسسات جامعة الجزائر، وأصدر مجلة اللسانيات فقد كتب

في أعدادها الأولى سلسلة من الأبحاث بعنوان مدخل إلى علم اللسان الحديث غاص فيها على جذور الفكر اللغوي في أهم منعطفاته الإنسانية ... وأماط اللثام عن المحددات المعرفية المتوارية خلف المدارس والنظريات والمناهج. إن ميزة العمل الذي قام به عبد الرحمان الحاج صالح تتركز في أنه كان واعيا وعيا تاما بتداخل المعارف وتوابع العلوم، وكان نافذا ببصيرة حادة إلى السند النظري الذي ارتكز عليه العلم اللغوي في تطوره كما في انسلاخاته<sup>(11)</sup>، إن ما طرحه الحاج صالح في الأعداد الأولى من مجلة اللسانيات، معرفا بهذا العلم لم يكن أبدا جهدا ساذجا أو مقصور دوره على الغاية التعليمية، بل كان جهدا مؤظرا لسيرورات الدرس اللساني العربي، وبالكاد نلمح بعضا من تلك الأوصاف التي وضعها الباحثين المغربيين للسانيات التمهيدية. ولن نتسرع بالحكم على هذا النوع من الكتابة ونخرجه من دائرة اللسانيات التمهيدية لما يحتويه من عميق نظر وإنما ننبه لغفلة الباحثين عن هذا الجانب واهتمامهم بكتابات الدكتور في مجال التراثيات.

النص الثاني: يقول الباحث المعاصر مختار زواوي في معرض تفريقه بين اللغة واللسان أيضا ما نصه كالآتي: " إن اللافت الأول في تعريف دو سوسير للسانيات بأنها علم اللغو أو علم اللسان، أداة أو (ou) التي تفيد الخيار، أي أيما التعرفين اخترت جاز لك ذلك وينطوي هذا التعريف على مسلمتين هما: إن اللسانيات بوصفها علم اللغة ( language ) مرادف لوصفها بعلم الألسن ( langues ) من جهة، وأن مفهوم اللغة يختلف كل الاختلاف عن مفهوم اللسان من جهة أخرى إذ الأول ميزته الأفراد أما الثاني فميزته التعدد. يمثل هذا التعريف الذي استقيناه من كراسة رايدلنغر تعريفا للسانيات من الداخل، ويستند تفسيره إلى المعنى الذي يراد به لكل من مصطلحي اللغة واللسان، لذلك توجه دو سوسير إلى تعريف اللسانيات من الخارج؛ بمعنى تحديد علاقتها مع العلوم المجاورة (...). وإذا أُبْنَا إلى تعريف دو سوسير للسانيات كما تناقلته كراسات الطلبة بوصفها علم اللغة أو علم الألسن ورحنا نتتبع كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة نبتغي التحقق من هذا التعريف ما وجدنا له



أثر بل إن التصور الذي اصطنعه شارل بالي وألبير سشهاي عن اللسانيات يختلف كل الاختلاف عن تصور دوسوسير لها<sup>(12)</sup>

هذا النص المستقى من كتاب دو سوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، يبدو على عنوان الكتاب أنه حسب تصنيفات حافظ اسماعيل علوي من الكتابات اللسانية التمهيدية، التي تظطلع بالوظيفة المرجعية أو الإحالية متمثلة في الإحالة على اللسانيات بطريقة عامة (مدخل إلى اللسانيات) ثم التعريف بإسهامات علم من أعلام اللسانيات نجدها في (دو سوسير من جديد)<sup>(13)</sup> إلا أن البنية المعرفية المبتوثة في هذا النص توحى بوظيفة تصحيحية لما هو موروث من الكتب اللسانية السابقة وهذا بناء على تحيين المعلومات في ما يخص لسانيات دو سوسير تحديدا خاصة بعد ما ظهرت مخطوطاته الأصلية للعيان وقد تسابق الباحثين لإعادة تصحيح المفاهيم السوسيرية انطلاقا مما أستجد في هذا الباب ومن أبرزهم مختار زواوي ومصطفى غلفان صاحب كتابي: (لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، واللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول) المنشوران سنة 2017.

ربما أنتبه القارئ لبعض الاختلاف بين نص عبد الرحمان الحاج صالح وبين نص مختار زواوي وذلك إزاء موضوع اللسانيات، ومرد هذا الاختلاف ليس خلطا في المعرفة أو قلة اطلاع بقدر ما هو أمر طبيعي راجع إلى تطور الأبحاث بين زمنين قدرت المسافة بينهما زهاء ما يربو عن أربعة عقود، وخاصة بعد الأثار الجديدة الخاصة بسوسير والتي تم العثور عليها ما بين سنتي 1996 و2002<sup>(14)</sup>.

من هنا نتساءل هل مثل هذه الكتابات تعد كتابات لسانية تمهيدية؟

أمام هذا التساؤل وجب أخذ هذه القضية من زاويتين متكاملتين، الأولى أنها لسانيات تمهيدية على اعتبارها تقرب لنا فكر الآخر الغربي وعلى اعتبار دلالات عناوينها التي توحى بأول اللوج (مدخل)، ومن زاوية أخرى يمكن اعتبارها نوع آخر لأن زمنها متأخر نوع ما خاصة بعد ما أصبحت مواضيع اللسانيات مطروقة بكثرة واستأنس بها الأساتذة والطلبة على حد سواء، هذا من زاوية زمنية، أما من زاوية وظيفية فهذا النوع لا يسعى إلى

التعريف بلسانيات سوسير بقدر ما يسعى إلى تصحيح المعارف التي نسبت إلى دو سوسير، وحق لنا أن نطلق على هذا التيار التيارات التصحيحي أو الكتابات اللسانية التصحيحية أو التنقيحية أو شيء من هذا القبيل. كما أننا نريد قبل أن نخرج من هذا النموذج إلى نموذج آخر أن نشير إلى ثراء مصادر التلقي لدى مختار زواوي وذلك من خلال المراجع المعتمدة في كتاباته والتي تحتوي على كم هائل من المراجع الأجنبية الأصيلة التي تتبع فكر دو سوسير، وهذا ما يجعله منخرطاً في عملية الترجمة غير مباشرة وهي تدخل بذلك في ما يسمى بتقديم الآخر للقارئ العربي، وهذا من غايات الكتابات التمهيدية.

2.3. نماذج خاصة بالتعريف ببعض المدارس اللسانية:

سنختار هنا نموذجين اثنين متباعدين في الزمن نوعاً ما وكلاهما فيه حديث عن المدارس اللسانية سواء حديثاً عاماً أو خاص وما نبتغيه من تقديم هذين النموذجين مقترنين مع بعض هو استكشاف مدى صحة الفرضية المعلن عنها سابقاً وهي أن اللسانيات التمهيدية ليست محكومة بفترة زمنية معينة بل هي مستمرة ما استمر المتلقي الذي يصعب عليه التلقي المباشر للمعرفة من أصولها أو يصعب عليه تقلب الركام الكبير لعلم شغل حيزاً زمنياً يربو عن القرن، أما عن النموذجين فالأول هو كتاب المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة لصاحبه محمد الصغير بناني منشورات دار الحكمة الجزائر نشر سنة 2001، أما النموذج الثاني فهو كتاب للباحثين ربيعة برباق وسارة جابري المعنون بلسانيات التلطف أسسها وقضاياها نشر عن دار فكرة بإسطنبول تركيا سنة 2017.

النموذج الأول: يعد كتاب محمد الصغير بناني من الكتب المختصرة جداً، فهو في مجمله لا يتعدى ستة وتسعين صفحة، رغم أن عنوانه الذي يحمل إشارة للحديث عن المدارس اللسانية في التراث العربي، وعن المدارس اللسانية الحديثة الوافدة من الغرب، وهذا هو الجزء الذي يهمننا هاهنا، ولا شك في أن الاختصار غاية من غايات الكتابات التمهيدية، فالقسم الثاني من هذا الكتاب الذي عنوانه المؤلف بالمدارس اللسانية في الدراسات الحديثة، يشير إلى أن الغاية منها هو "تمكين القارئ العربي من استيعاب هذه

المدارس والاستعانة بها لفهم التراث العربي حق فهمه ولإثراء دراستنا العربية الحديثة وفتح المجال للمقارنة والتقريب بين النظريات<sup>(15)</sup>

يبدو من خلال تصريح صاحب الكتاب أن الوظيفة التي يبتغي أن يؤديها كتابه ليست وظيفة تعليمية فحسب بل وظيفة توجّهية فهو يريد من خلال معرفة هذا الوافد الغربي أن تستثمر معارفه في قراءة وفهم التراث وهذه غاية مستحدثة وجديدة في مثل هذه الكتابات فهي مزيج بين الكتابات اللسانية التمهيدية وبين لسانيات التراث. وقد سبق أن جعله حافظ إسماعيل علوي من لسانيات التراث<sup>(16)</sup>، غير أننا في هذا الكتاب لا نلج إلا بعض الإشارات البسيطة والغير مؤسسة على رؤية إبستمولوجية تربط بين المدارس التراثية وبين المدارس الحديثة (الغربية) وفي معرض هذا الحديث نسوق بعضا من المقتطفات من كتابه يقول محمد الصغير بناني في أثناء حديثه عن المدرسة البنيوية: " [يرى بلومفيلد] أنه يستحيل تحديد المعنى وعلاقة صاحب النص بالكون الواقعي، قائلاً أن هناك عوامل كثيرة تتدخل في نسج العبارة مما يعجز على حصرها ويستحيل ضبط خصوصيتها ووصف العلامات البارزة التي لها دور في تأليف المقام وهناك خاصية أخرى هامة للبنية هي التمييز بين (معاهد) الكلام في مختلف وجوهها وبين إنجازها أقوالا ويترتب عن هذا أننا نستخلص من النص أو من النصوص المختلفة الناجمة عن ألفاظ القول نظاما للغة"<sup>(17)</sup> يضع المؤلف علامة إحالة عند كلمة معاهد التي وضعناها بين قوسين في هذا النص ويحيلنا في الهامش على الصفحة رقم 7 التي جاء فيها ما يلي " وبما أننا خصصنا لهذا الكتاب (البلاغة والعمران عند ابن خلدون) نحن عاكفون اليوم على توسيعه إلى فقه القلوب فإننا نرجئ الكلام عنه إلى غير هذا المقام لنحصره في المدارس اللسانية الغربية والمدارس اللسانية العربية فنرسم بذلك الآفاق التي تندرج فيها نظرية فقه القلوب وهي آفاق ترتقي إلى ما فوق البلاغة والعمران..."<sup>(18)</sup> أن ما يمكن عده صلة بين هذين النصين هو كون الأول جاء في قسم اللسانيات الحديثة في معرض الحديث عن اللسانيات البنيوية وكون الثاني حمل في طياته عبارة المدارس اللسانية الغربية ولم يوضح المؤلف دواعي إحالته لنا على الصفحة السابعة من هذا الكتاب كما أنه لم يفهمنا جيدا

ما المقصود بنظرية فقه القلوب الذي أراد أن يؤسس لها من خلال المزاجية بين التراث واللسانيات الحديثة، إن هذه الإسقاطات التي تفتقر إلى أساسات منهجية ومعرفية أحدثت لبسا بينا في هذا الكتاب ونراه أيضا في هامش الصفحة 62 يعطي مفهوما للمعاقد بقوله: "مفهوم معاقد جمع معقد هو المستعمل عند الجرجاني لتعيين ما يسمى بالوضع يعني code وقد اخترناه عليه أو على السنن لأنه مصطلح شائع ويعبر أحسن عن المعنى المقصود"<sup>(19)</sup> بهذا يكون الباحث قد أخلط الأمور على المتلقي فلا هو يفهم المقصود من المعاقد في بيئته الأصلية ولا مفهوم السنن في أدبيات اللسانيات الحديثة ولا مسوغات هذه المقابلة وأما حديثه عن شيوع مصطلح المعاقد فلسنا نفهمه أيضا، ولسنا نفهم كذلك مسوغات استعمال مصطلحي السدي والنير في مقابل paradigm و syntagme إذ يقول الباحث: " ونعني بالسدي والنير ما يراد بهما في اللسانيات عند ديسوسير paradigm السدي syntagme النير وقد اقتبسنا هذين المفهومين من صناعة الشعر في البلاغة العربية خاصة عند الجاحظ والجرجاني الذين يحثان على أن النص الشعري عبارة عن نسيج يقوم على خيوط الطول في السدي وخيوط العرض في النير وإبرامهما في معاقد الكلام بنسج النص كما ينسج الثوب"<sup>(20)</sup> فالباحث يرى من خلال هذا النص أن معطيات نظرية النظم تماثل أو تقابل ثنائية ديسوسير وكنا سنسلم مع الباحث بهذه المقابلة لو أنه أبان لنا بالتحليل العميق الذي يأخذ بتلابيب الخلفيات الثقافية والفلسفية لكلا الوجهتين ووضع الأطر السليمة لعمله.

خلاصة ما نستشفه من هذه المقتطفات أن هذا النوع الذي يسعى إلى النباش عن أصول النظريات الحديثة في التراث العربي قد أخل بالوظيفة التعليمية التي نحسبها غاية الكتابات اللسانية وأخل أيضا بجوهر النظريات العربية إذ جعلها تختلط مع ما لا يتجانس معها لا فكريا ولا بيئيا، مما يجعلنا نتجراً على مثل هذه الكتابات ونجعلها في صنف آخر بمعزل عن الكتابات التي تبتغي مرامي واضحة تعليمية كانت أو تراثية خالصة.

النموذج الثاني: عالج هذا النموذج المشار إليه سلفا مدرسة من المدارس اللسانية ألا وهي مدرسة لسانيات التلفظ أو مدرسة بنفنيست قدمتا الباحثان لهذه الدراسة

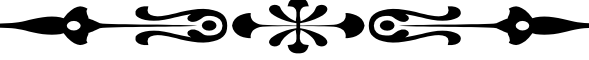
بمجموعة من الموضوعات التي اعتبرتها مهمة لتسهيل الطريق قصد الوصول إلى فهم لسانيات التلفظ إذ " يقتضي البحث في ميدان معرفي معين، الوقوف على أصوله ومصادره الأولى مما يحتم علينا [ تقولوا الباحثان] قبل الخوض في ميدان لسانيات التلفظ أن نلقي نظرة (بسيطة) على تعريف اللسانيات بوصفها أصلا معرفيا له [ يقصدان لسانيات التلفظ]"<sup>(21)</sup> كما تحدثنا إضافة على تعريف اللسانيات على ميادينها واتجاهاتها ومدارسها ومستويات التحليل اللساني باقتضاب شديد ثم عرجا على تبين موضوعهما \_ لسانيات التلفظ\_ الذي كان محور هذه الدراسة فانبريا يوضحان المفاهيم المشكلة لهذا التيار بأسلوب بسيط تبدو عليه المسحة التعليمية التيسيرية واضحة جلية.

وسنحاول في هذا النموذج أن نعتمد على وصف الشكل الخارجي لطريقة تقديم هذه المدرسة دون الخوض في الأبعاد العلمية والمنهجية التي أحاطت بفحوى المضمون، فمن خلال الملاحظة السطحية يتبين لنا أن الكتاب يحتوى على كثير من العناوين الرئيسة والجزئية التي تتميز بقرنها من بعضها البعض مما يعني أن الفقرات كانت موجزة ومركزة ولم تغص في السرد التاريخي للجذور الأولى لهذا المبحث، كما أن الباحثان اعتمدتا في كثير من المواطن على أسلوب العنصرة، الذي يلخص الأفكار في عبارات قصيرة موجزة يسهل حفظها وتذكرها أيضا ما يميز هذه العناوين أن معظمها عبارة عن مصطلحات تم تجلية مفاهيمها، وهذا بلا شك أسلوب تعليمي محض كان كافيا لاعتبار هذا النموذج منخرطا في صنف الكتابات اللسانية التمهيدية رغم حدائته.

واختيارنا لهذا النموذج كان من باب تأكيد الفرضية التي صغناها في أول هذه الدراسة والتي تنص على أن الكتابات اللسانية التمهيدية لا تحتكم إلى الحدود الزمنية بل هي كائنة في كل زمن وليست مقتصرة فقط على ما ألف في فترة ارتحال اللسانيات الغربية إلى القطر العربي.

#### خاتمة:

في نهاية هذه الدراسة لا يسعنا إلا أن نصدق القارئ القول بأن نماذجنا كانت نتيجة لقراءة متريضة، وليست غايتنا في ذلك تبين مثالب ومحاسن هذه الكتابات بقدر ما



كنا نرغب فيه من تجلية الحدود التي تتراوح فيها الكتابات اللسانية التمهيدية، إن على مستوى وظيفتها وإن على مستوى اشتغالها في حيز زمني مستمر، ابانت عنه الدراسة ونوجزه في النتائج التالية:

- ليست كل الكتابات اللسانية التمهيدية سطحية الطرح ولا تغوص في الجانب الابدستي للمعرفة .
- الكتابات اللسانية التمهيدية أدت وظائف مختلفة، تعليمية وتأصيلية وتصحيحية ونقدية أيضا.
- الكتابات اللسانية التمهيدية تراوحت بين التأليف والترجمة وإعادة القراءة.
- ليست كل الكتابات اللسانية التمهيدية كتابات متصفة بالقصور والسذاجة ولا ينفي هذا إمكانية الاتصاف بهذه الأوصاف لطبيعة غايتها وأسلوبها وطبيعة متلقيها.

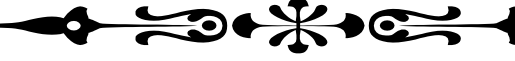
### هوامش البحث:

- (<sup>1</sup>)- حافظ اسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ط1، 2009، ص 99.
- (<sup>2</sup>)- ينظر: المرجع نفسه، ص 99.
- (<sup>3</sup>)- ينظر: المرجع نفسه، ص 104.
- (<sup>4</sup>)- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، المغرب، ص 74 . ( كتاب بصيغة pdf )
- (<sup>5</sup>)- ينظر: المرجع السابق، ص 118\_123.
- (<sup>6</sup>)- ينظر: صورية جغبوب: قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، مذكرة دكتوراه علوم، إشراف: عز الدين صحراوي، جامعة فرحات عباس سطيف، قسم اللغة والأدب العربي، سنة الجامعية 2011 / 2012، ص 22\_23.
- (<sup>7</sup>)- ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، دارورد الأردنية، ط1، 2013، ص 41.
- (<sup>8</sup>)- ينظر حافظ اسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 137\_138.
- (<sup>9</sup>)- عبد الرحمان الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر ، العدد 10، ديسمبر 1996، ص 85.

- (10) - عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 36\_41. وأصل هذا النص من مقال بعنوان مدخل إلى علم اللسان الحديث وتحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه نشر في مجلة اللسانيات الصادرة عن معهد العلوم اللسانية والصوتية بجامعة الجزائر في مجلدها الأول، الجزء الأول، 1971، (ص 9\_35).
- (11) - عبد السلام المسدي: منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 21/83، 2003، ص 15\_16.
- (12) - مختار زواوي: دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات، ابن النديم للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2017، ص 38.
- (13) - ينظر: حافظ اسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 105.
- (14) - ينظر: المصدر السابق، ص 11.
- (15) - محمد الصغير بناني: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص 59.
- (16) - ينظر: حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 135.
- (17) - محمد الصغير بناني: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص 60\_61.
- (18) - المصدر نفسه، ص 7.
- (19) - المصدر نفسه، ص 62.
- (20) - المصدر نفسه، ص 64.
- (21) - ربعة برباق، سارة جابري: لسانيات التلفظ أسسها وقضاياها، دار فكرة، إسطنبول، تركيا، ط1، 2017، ص 9.

#### مصادر ومراجع البحث:

1. حافظ اسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ط1، 2009.
2. ربعة برباق، سارة جابري: لسانيات التلفظ أسسها وقضاياها، دار فكرة، إسطنبول، تركيا، ط1، 2017.
3. صورية جغبوب: قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، مذكرة دكتوراه علوم، إشراف: عز الدين صحراوي، جامعة فرحات عباس سطيف، قسم اللغة والأدب العربي، سنة الجامعية 2011/2012.
4. عبد الرحمان الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 10، ديسمبر 1996.
5. عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2007.



6. عبد السلام المسدي: منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 21/83، 2003.
7. محمد الصغير بناني: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001.
8. مختار زواوي: دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات، ابن النديم للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2017.
9. مصطفى غلفان: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، دارورد الأردنية، ط1، 2013.
10. مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، المغرب.